مختصر خطبة صلاة الجمعة 14/ 6/ 2024 للشَّيخ الطَّبيب محمَّد خير الشَّعَّال، في جامع أنس بن مالك، دمشق – المالكي

(ألا هل بلغت، اللهم فاشهد)

خطب النَّبي ﷺ يوم عرفة بالناس خطبة جامعة فاذَّة، فيها أصولٌ أربعةٌ من أصول الإسلام الحنيف، وخاتمة مؤثرة.

الفِقْرة الأولى: «**إنَّ دماءَكم وأموالَكم حرامٌ عليكم، كحُرمة يومكم هذا، في بلدكم هذا**»: فلا يجوز في الإسلام الاعتداءُ على الآخرين، وتُعتبَرُ حُرمات المسلمين وأموالُهم وأعراضُهم ودماؤهم كحرمة البلد الحرام، والشَّهر الحرام.

الفِقْرة الثَّانية: «**ألا كلُّ شيءٍ من أمرِ الجاهليةِ تحتَ قدمي موضوعٌ**»: دماء الجاهلية وثاراتها مرمية تحت قدمي المسلم، ورِبَا الجاهلية موضوعٌ، وعادات الجاهلية وأفكارها واعتقاداتها مرميَّةٌ تحت قدمَي المسلم.

الرِّبا، الثَّأر، تبرج النِّساء، العلاقات غير المشروعة بين الرِّجال والنِّساء، والموائد التي تُدار عليها الخُمور، وحفلات المجون، وطاولات الميسر والقِمَار، السحر والشعوذة... كلُّ هذا وأشباهُهُ يرميه المسلمُ وراءَ ظهرِه، وينطلقُ إلى الله تعالى.

الفِقْرة الثَّالثة: «**فاتَّقوا الله في النِّساء، فإنَّكم أخذتموهنَّ بأمان الله..**»: هذه الوصية بالنِّساء جاءت إحياءً لكرامة المرأة التي هدرها الكفر، وتثبيتاً للعلاقات الأسرية التي مزقتها المادية، وجاءت اهتماماً بالمرأة الأمّ، والمرأة الأخت، والمرأة البنت، والمرأة الزَّوجة..

إنَّ أسمى ما يَتوقعُ الوصولَ إليه دعاةُ المساواة بين الرَّجل والمرأة أن تصير المرأةُ مساويةً للرَّجل في الحقوق والواجبات والمسؤوليات، لكن ما أعطاه الإسلام للمرأة أمّاً وأختاً وزوجةً وبنتاً، أغلى من هذا بكثير وأعلى.

الفِقْرة الرَّابعة: «**وقد تركتُ فيكم ما لن تضلوا بعدهُ إن اعتصمتم به...**»: فالقرآن الكريم والسُّنة الشَّريفة، سفينةُ نجاتنا في الدُّنيا والآخرة، ونحن قومٌ أعزَّنا الله بهما، ومهما أردنا العزَّة بغيرهما فارقتنا العزَّة وحالفنا الهوان.

هذه فقرات خطبة النَّبيّ ﷺ يوم عرفة، ثم تأتي الخاتمة المؤثرة، فقد أرسل الله تعالى رسوله بشيراً ونذيراً، ويظهر من الخاتمة أنَّه ﷺ مهتمٌّ جداً بأمر الله تعالى، وخائفٌ ألا يكون أدى الذي أُمر به؛ مع كل ما بذله لخدمة الدين ومع كل ما ضحى به في سبيل الرسالة. لذا نجده ﷺ استنطقَ النَّاس الجوابَ: «**هل بلَّغت؟**» فلمَّا قالوا: نعم بلغْتَ، ونصحتَ، وأديتَ، راحَ يُشير بأُصبعه إلى السَّماء، وإلى النَّاس «**اللَّهمَّ اشهدْ، اللَّهمَّ اشهدْ، اللَّهمَّ اشهدْ**». فتراه ﷺ يدعو إلى الله تعالى في العسر واليسر، في الحرب والسِّلم، في الصَّحة والمرض، في اللَّيل والنَّهار، في أهله وعشيرته، في أسرته وعائلته، في القريبين والبعيدين، يحضرُ مواسم اجتماعِ النَّاس ويدعو النَّاس إلى الله، ويقول: «**مَنْ رَجُلٌ يُؤْوِينِي حَتَّى أُبَلِّغَ كَلَامَ رَبِّي**» (سيرة ابن كثير).

يقول للنَّاس: «**بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً**» [البخاري]، ويقول لهم: «**ارْجِعُوا إِلَى أَهْلِيكُمْ فَأَقِيمُوا فِيهِمْ وَعَلِّمُوهُمْ**» [البخاري].

إن اهتدى على يديه امرؤٌ فرحَ فرحاً شديداً، وإنْ أصرَّ امرؤٌ على عِنَاده للحقِّ حزِنَ عليه حزناً شديداً.

وهكذا تجدون رسولَ الله ﷺ يحملُ همَّ الرِّسالة أنْ يبلِّغَها الكبيرَ والصَّغيرَ، الرَّجلَ والمرأةَ، القريبَ والبعيدَ، وهو ﷺ يخافُ التَّقصيرَ في أداء حق الرِّسالة.

وأنت أيها الأخ الكريم: هل حملْتَ همَّ الدَّعوة إلى الله؟ هل يعنيكَ شأنُ دلالةِ الخلقِ على الله؟ كم رجلاً دعوتَهُ إلى الإسلام؟ وكم شارداً رددتَهُ إلى جادَّة الصَّواب؟ هل ساندتَ العاملين في دلالة الخَلْقِ على الحقِّ؟

متى ستحمل هم الأمة، ومتى ستقول: ألا هل بلغت اللهم فاشهد!

والحمد لله رب العالمين